

تاريخ الاستلام: 2018/05/29 تاريخ القبول: 2018/12/15



د. مريم شكاط

(جامعة الإخوة منتوري - قسنطينة 1)

Email : maryamche4@gmail.com

### الملخص

لطالما عكست ثنائية القبيح والجميل علاقة التضاد والتنافر شكلا ومضمونا، إلا أن معيار الجمال والقبح مختلف وغير ثابت، حيث يتجلى الغروتسك في أقصى بنيانه المضمر من خلال كل ما هو مدهش وغريب ومشوه ومثير ومضحك؛ فكيف يمكن لتلك الثنائية أن تتحول في الخطاب الإبداعي إلى علاقة تشاكل وتماتل؛ وإذا كان المبدع لا يجمل القبيح بقدر ما يحاول بفضه أن يساهم في خلق عناصر الجمال في هذا القبيح الموجود في الطبيعة؛ فماذا لو كانت يد هذا المبدع يد أنثوية باهرة الجمال، باللغة السحر بللمسة منها تحول الأحجار إلى تحف نادرة؛ كيف يتم خلق موقف استنطقي تجاه القبيح؟ ثم كيف خلقت إستراتيجية الغروتسك عند الكاتبة "ربيعة جلطي" المغاير في الإبداع النسوي؟ يسعى هذا المقال لمناقشة هذه التساؤلات مسلطا الضوء على مفهوم الغروتسك في المجال الإبداعي، كما يحاول رصد مظاهره وتجلياته في رواية "عرش معشوق" و"عازب حي المرجان" و"حنين بالنعناع" من خلال تصوير الشخص وتحولاتها السردية وأبعادها الجمالية والفنية والكشف عن دلالاتها.

**الكلمات المفتاحية:** الغروتسك، الجمال، القبح، الجسد.

### Abstract

The ugly and the beautiful dualism has always reflected the relationship of contradiction and repulsion in form and content; but the criterion of beauty and ugliness is different and uncertain. where the grotesque is reflected in its most innate structures through all what is amazing, strange, exciting, distorted, and funny. Then how can this dualism turn in creative discourse into symmetry and symmetry relationship; And if the writer does not beautify the ugly as much as he tries by his art to contribute in creating elements of beauty in this ugly in nature; what if these hands of this writer is a feminine being a beautiful hand, very magic and with a touch turns stones into rare antiques? How to create an aesthetic attitude towards the ugly? And then how the strategy of the grotesque did is created in the writings of this novelist? ; This article seeks to discuss these questions, highlighting the concept of the grotesque in the creative field, as well as trying to monitor its manifestations in the novel "Dovetailed Throne," and "Single of Coral District" and "nostalgia with mint" through the portrayal of characters and their narrative transformations and aesthetic and artistic dimensions and the exploration of their significance.

**Keywords:** Grotesque, Beauty, Ugliness, Body.

## تمهيد:

مصطلح الغروتسك مصطلح إشكالي شابه في ذلك مصطلح الإبداع النسوي هذا الأخير رغم انتشاره واستعماله بين النقاد والمبدعين و انقسامهم بين مؤيد ومعارض إلا أنه عبر عن تحديات المرأة المبدعة إزاء الهيمنة السردية الذكورية وكشف عن آلياتها واستراتيجياتها المغايرة في الكتابة الإبداعية .

## مفهوم الغروتسك Grottesque :

الغروتسك هو كل ما يحيل على الغريب والمدهش و القبيح بكل ما يثيره من ضحك وسخرية أو استهجان، نقول شخصية غروتسكية إذا كانت قبيحة ومضحكة ومثيرة للسخرية، وفكرة سخيفة هي حماقة أو دعاة ( , 2003, LA ROUSSE (P719)

أما اصطلاحاً فهو نوع أدبي وفني يتميز بطابع الغرابة والسخرية، والكاريكاتور، يرجع أصل المصطلح إلى زخارف حائطية و آثار عجائبية شكلت مزيجاً من الرسوم الصغيرة المختلطة التي اكتشفت عصر النهضة بروما العتيقة، والتي شكلت مصدر الهام للكثير من الفنانين خلال القرن التاسع عشر .

يترجم في العربية بعدة مصطلحات كالقبيح، المشوه، المسخ، الشاذ، المبتذل، الدهش، المثير، الغريب، المضحك الباعث على السخرية والازدراء... فلا توجد كلمة دقيقة تحدد معناه مباشرة وذلك لزئبقية دلالاته، لأنه نقيض كل ما ينتظم في قوالب ويحدد بمعايير (Dictionary of theatre Ar/En/Fr ; DLDLP DICTIONARY ) وتلك أبرز سماته؛ فإذا تموضع مقابل الجميل قلنا هو القبيح والمشوه، وهو الغريب، والشاذ أمام المؤلف والمضحك والساخر أمام الجاد، وهو الوضع مقابل السامي والرفيع.

و يغوص مصطلح الغروتسك في المقدس والأسطوري، فيجمع بين القبح والجمال حين يتمظهر في شكل نماذج إلهية مقنعة مزدوجة تخفي قوة أسطورية متجسدة في هذه الأفعنة تعود إلى العهد اليوناني في ما يسمى بالقناع المقدس، أو الالهة المقنعة (ارتميس/Artemis)، (ديونيزوس/Dionysos) (جورجو/gorgo) (صورة غجاتي، 2009، ص104)، تمثل جورجو شخصية أنثوية ذات وجه وحشي يجمع بين الإنساني والحيواني، بين القبح والجمال، وبين الشباب والشيخوخة (نفسه، 105).

بداية نشأ الغروتسك في أحضان الفنون التشكيلية والعمارة والزخرفة العجائبية من خلال الرسومات المكتشفة في بعض الحفريات بايطاليا والتي تحوي رسوما عجائبية لأشكال بشرية وحيوانية مختلطة بأشكال نباتية مصورة بشكل غير متطابق تثير الغرابة والاشمئزاز. لذلك قيل أن هذا المصطلح مشتق من الكلمة الايطالية Grottesca من الجدر Grotta والتي تعني المغارة والكهف (مجدي وهبة، ص:201) ثم توسع المعنى ليشمل كل ما له طابع المبالغة والتشويه في المجال الإبداعي والجمالي وهو كل ما يتولد عن طريق التحوير في نمط مثالي بحيث نبالغ في تجسيم أحد عناصره أو نخلط بينه وبين أنماط أخرى". ( جورج سانتيانا ، 2001 ، ص:333) وبالتالي فهو نمط يجمع بين الأضداد وخليط هجين من المضحك و الساخر المرعب الخارج عن المألوف يتجاوز الواقعي والعقلاني إلى عوالم خيالية تسرف في التشاز والتنافر وعدم التناسق قادرة على إثارة الصدمة .

### الغروتسك في المجال الاستطقي:

أحدثت الرومانسية ثورة في علم الجمال فأبعدت الجمالي عن المقدس والأخلاقي ، ومن ثمة ساهمت المذاهب الأدبية التي سارت على نهج الرومانسية في إدخال القبيح

إلى عوالم الجمال ؛ فتولد خليطا هجيناً يسمى بالغروتسك على اعتبار أن المضحك أو الجميل مثلاً قد يأتي على خلق لا يتوافق والمعايير الأخلاقية والمنظومة الاستيطيقية الاجتماعية مثل : الساحر ، الساذج ، الكذاب ، الجشع ، البخيل أو الأثاني أو الغيور، وهنا تصبح الأخلاقية السائدة ستارا حاجبا يجب تنحيته برفق كي تكتشف جماليات جديدة نابعة من حقيقة الوجود المقاوم للنسيان (صلاح فضل، 2002، ص:156).)؛ فلا ينبغي أن نقلل من أهمية القبح ضمن المجال الإبداعي والجمالي، لأنه بمجرد بناء أو إعادة بناء العالم بصورة دعاية وفكاهة؛ فقد حقق وظيفة جمالية بحثة .

يدخل القبح عالم الفن من منطلق أن التقويم الحقيقي للعمل هو طريقة العرض والمعالجة وكيفية تلقي العمل والترحيب الذي يلاقه، ومعنى هذا التأكيد على وظيفة الفن المتمثلة في المتعة التي يخلقها إذ يمكن للقبح "أن يرتفع ويتسامى إلى مرتبة الجميل، و هذا التسامي الذي تبلغه الأشياء الجميلة والقبيحة على السواء ،حينما يرقى بها الفن إلى عالمه هو ما يجب أن نفهمه نحن اليوم من سمو الأشياء إلى مثلها الأعلى في قول أفلطون ذلك أنها تصبح في الفن على أرفع شكل من أشكالها بحيث يتسنى لها معه أن تؤثر وتروّع ، فتكتسب حينئذ صفة الجمال في الفن" (ميشال عاصي، 1980، ص:40).)؛ فانتقال الغروتسك من العالم المثالي إلى العالم الواقعي هو ما يضفي عليه سمة الإبداعات الخيالية .

وهذا ما تبلور في رؤية "أمبريتو إيكو" في "تاريخ القبح" حين أكد على انه لا ترابط على أي حال بين القبح والشر بل إن القبح والطيبة والبشاعة والحق يمكن إن تكون في صنف واحد ( ابراهيم العريس ،2017) في المجال الإبداعي الفني .

ولعل ما يجمع بين طرفي ثنائية القبح والجمال هو ما يتعلق بوظيفة كل منهما هو المتعة التي يخلقها كل منهما على السواء فالجمال بما يحمله من "قيمة ايجابية نابعة من طبيعة الشيء، يحقق لذة نعتبرها صفة في الشيء ذاته" (جورج سنتيانا، 2001 ص: 92)؛ فلا يكون الموضوع جميلا ما لم يولد اللذة والمتعة بداخلنا. و الأمر نفسه ينطبق على الغروتسك الذي يكون نتيجة "انحراف عن الواقع وكل تجريد يقع في الغموض والمتناقضات وتغيرات في الصورة الشكلية وتحولات في الإدراك الباطني" (نفسه، ص: 326)، فالقوة الخلاقة للانحراف وما تخلفه من تشويش وتناقضات تصدم أفق تطلعاتنا، فحس بالخداع أو الترويح عن النفس أو الخجل أو التسلية طبقا لمقدار تعاطفنا مع الموقف مما يخلق متعة تضاهي إحساسنا بالجميل وقد تفوقه أحيانا.

وفي المسرح ظهر الغروتسك بين القرن السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر في أحضان ما يعرف بالمسرح "الباروكي" الذي يغرق في الابتذال والتعددية والجمع بين المتناقضات؛ فالحقيقة في المنظور الباروكي غير منفصلة على الكذب والبهتان و تجمع بين الحلم والواقع؛ فكان الغروتسك الطابع العام للتراجيكوميديا باعتبارها أحد أنواع المسرح الباروكي، وقد شكل موقفا نقديا جديدا رفض الخضوع للقواعد الصارمة حين مزج بين الجد والهزل، مما جعله يفتح على فن الكوميديا وما يتبعها من أنواع أخرى كالهجاء والسخرية السوداء والتهكم، كما ارتبط أيضا بالطقوس الشعبية الخرافية العجائبية .

يعود الفضل "لفكتور هيغو" في المقدمة النظرية "بيان الرومانتيكية" التي تصدرت مسرحيته الشهيرة (كرومويل/ cromwell) والتي أحدثت ثورة جمالية على مفاهيم المسرح التقليدي، مقدما "نظرية الدراما الحديثة الجانحة لتحقيق الوحدة العضوية بين الخير والشر والجميل والمتناقض والمضحك" (فيكتور هيغو، 1994 ص: 56)، حين لفت

النظر إلى الغروتسك باعتباره نقبضا للعقلانية لما يتسم به من خيال وإبداع "فليس للجميل سوى نموذج واحد و لدينا عن القبيح ألف نموذج، ذلك أن الجميل ليس إلا الشكل المعبر والأكثر حميمية مع بنية نظامنا الجسدي ،لذلك يقدم مجموعا كاملا لكنه محدد مثلنا، أما ما ندعوه بالقبيح هو ما لا ينسجم معنا وإنما مع الإبداع بأكمله لهذا يقدم لنا ملامح جديدة و متعددة" (نفسه،ص:108).

أما في مجال الرواية ففضل "فكتور هيغو" أن يجعله نسقا تركيبيا ومحورا هاما منذ قرنين من الزمن في أهم أعماله (البؤساء ) 1862 و( أحذب نوتردام )حيث استطاع ببراعة فائقة أن يبرز القيم الجمالية التي يمكن أن يزخر بها كل مشوه وقبيح ،حين صور الواقع المزري لنماذج ملعونة منبوذة اجتماعيا ،قلدها مركز البطولة بعدما طالها التهميش ، مسلطا الضوء على الزوايا الخفية من حياتها وممارساتها والتي أعلنت من قيمتها الاستيطيقية .

بعدما أصبح الغروتسك طابعا مهما في أغلب التعبيرات الفنية والفكرية كالكتابة الإبداعية والنقدية والمسرح والرسم والأعمال التشكيلية، يمكن أن نتساءل هنا عن موقعه في الراهن الروائي النسوي ؟ وكيف صورت المبدعة الجزائرية "ربيعة جلطي" فلسفة الجمال والقبح في أعمالها.

#### الغروتسك عند ربيعة جلطي :

تراهن الكاتبة -وبجس تجريبي مغامر- على استراتيجية الغروتسك داخل لعبتها السردية ،في خضم ما يثار حول حساسية الخطاب الإبداعي النسوي ؛ مما جعلها تسعى للتخفف من أعباء الأحكام الضابطة والمرجعيات الأخلاقية و الفنية و التحرر من الحدود المرسومة لمفهوم الجمال في الفن، وكأن القارئ عبر هذه الأعمال السردية يسترجع صدى نداء "أفلطون" "أيا "بان" العزيز ،يا آلهة المكان جميعا ،أنعموا علي

بجمال النفس الباطني .." (فايدوس لأفلطون أو عن الجمال، تر: أميرة حلمي مطر، ص: 30-31) حين يتناص ودرس "حنة نوحه" عن الجمال الذي يسلط خيوط إشعاعاته، باستحضار المثل الشعبي الذي ظل صدها ينخر تلافيف مخ القارئ وهو ينتقل من نص لآخر "الدفلى زاهية بنوارها مُمرة وبلا تمر. كوني كي عرش النعناع يا الضاوية بنتي تسبقو ريحتو.." (ربيعة جلطي، 2015، ص: 17)

تجاوز الكاتبة جمالية "الغروتسك" من خلال شخصيات "زليخا"، "الضاوية" والوزير"، أبطال أعمالها الروائية "عرش معشق" "حنين بالنعناع"، "عازب حي المرجان"؛ باعتبارها تجارب إبداعية جاءت خارج القواعد الصارمة للسرد المؤلف، فيها تقدم الكاتبة "ربيعة" رؤية حميمية ونادرة للحياة اليومية والفكرية التي تعيشها شخصاً قبيحة، منبوذة، غريبة، وجميلة - بطريقة ما - غير مألوفة؛ أين يصبح الجسد المشوه والبشاعة و الغرابة المضحكة هي الجمال الجديد، فلا يعد مثلاً "هنرى برجسون" المضحك مجرد نوع من التشويه كما يذهب "أرسطو" وإنما هو تشويه التبس بالتصلب؛ ففي الكاريكاتير يكون التشويه نوعاً من التصلب يصيب الشكل ويرجع إلى تصلب حركة فقدت مرونتها إلى حد تحولت إلى تجعيدة... فكأن الطبيعة قد تصلبت في أنف قد استطال إلى ما لا نهاية أو في صورة أحذب... " (أميرة حلمي مطر، 1998، ص: 191). ولعل هذا ما يعكس فلسفة تجريدية تحمل تشوه الشخص الورقية وأبعادها الفكرية؛ ليتجلى الغروتسك كفلسفة تقييم صرحاً للقيح. وهي الفلسفة التي تبنتها الكاتبة، حين خلقت شخصيات غريبة مثيرة للاشمئزاز وأحياناً للإعجاب وأحياناً أخرى للضحك والسخرية، بحيث يكمن سر جاذبيتها و فرادتها في اختلافها عما يمكن أن يوجد في الطبيعة، فرضت علينا المشاركة الوجدانية لأحلامها وآمالها وآلامها.

يندرج الغروتسك عند ربيعة جلطي في قبح شكلي وتشوه جسدي إضافة إلى قبح معنوي نفسي متمثل في حالات القهر التي تعيشها شخصياتها على كل الأصعدة النفسية، السياسية، والاجتماعية كاليتيم، الوحدة، الراهن المزري: إرهاب، ربيع عربي، كذب، جشع، قهر، كراهية.. ففي حنين بالنعناع مثلاً يلمح القارئ قسوة الواقع و القهر النفسي و الذاتي، حين تتساءل بطلتها "الضاوية" فما قيمة أن تكوني جميلة في هذا العالم القبيح الملوث " (حنين بالنعناع، ص: 14) وهنا تتعالق إستراتيجية الغروتسك و إشكالية الإقصاء والقهر الممارس على الجسد المشوه وهو ما يخلق تشوهات نفسية ومعنوية على مستوى الحياة الداخلية لهذه الشخصيات نتيجة صور الازدراء والسخرية المسلط عليها.

#### الغروتسك؛ الواقعي/المتخيل :

تحيط هالة أسطورية خرافية بأبطال "ربيعة جلطي" تكسبها قوة جمالية قيمة لا مثيل لها ؛ فالضاوية، المنحجة تحمل بداخلها قداسة و بركة جدها الولي الصالح ذو الكرامات "سيدي الشريف" ينبت لها جناحان ، فتمتلك القدرة على التحول والطيران وهذا التحول مرتبط بحلول الطوفان والكارثة التي تعم على الجميع ، وهو تغيير تنبأت به جدتها "حنة نوحه" "لم يكن يفاجئك الجمال الأنثوي الجبار الذي يتعظم في جسدي كل يوم .. صرت أشبه تمثال جدع إلهة إغريقية.. نعم مازلت أراك تراقبين جسدي، واشتداده وليونته، وبهجة و وجوده وفتنته، تريدين فقط أن تتأكدي أن "سيدي الشريف" يتحرك في خلاياي وعروقي وتنبت علامته في ظهري...العلامة التي تقيني من الشرور وتنقديني من الهلاك " (نفسه، ص: 11) على شخصية "الضاوية" تضفي الكاتبة صرحاً من العجائبية كعلامة تنبأ بالطوفان، وهو ما يضاعف جمالها ويثير الإحساس بالرغبة فيها "فالإنسان المنح من الأشكال التي تجمع كثرة الناس على



جمالها" ( جورج سانتيانا ،2001ص: 252 ) لذا شكلت البطلة الضاوية شخصية رمزية  
"فالأجنحة لقاء بين العقل والإحساس " (ربيعة جلطي،2015،ص: 193) وهي علامة  
التحرر والتغيير .

كما لا ينكر "الزبير" المعلم المثقف الذي يدمن قراءة الكتب ، رفضه لتشوه جسد  
على هيئة مسخ يظهر، بجسم صغير ورأس ضخم وكتفين ضيقتين ويدين طويلتين  
وكتفين كبيرتين غليظتين تحوي اثني عشر أصبع ، يحمل رغم بشاعة جسده  
"الكروفيت" إرث الفحولة وتاريخ الشرف والشجاعة وهو سليل عائلة ثورية جده  
المجاهد "قادة" ووالده "أحميدا" ، فيستثني من هذا الجسد المقموع المنبوذ "الكروفيت"  
علامة الذكورة والفحولة "إني فخور بها أليست هي التي أعادت لي ماء وجهي أمام  
الجميع " (ربيعة جلطي، 2016،ص:76) لذلك يلقب الزبير ب"الكروفيت" والذي لم يعد له  
نفس المعنى ونفس المقاس ولا الحجم ،أضحى صفة مادحة ،رجولة مكتملة ،ذكورة  
عظيمة ديناصورية " (نفسه،ص:28)

وتظهر "زليخا"/"الغولة" كمثال للفتاة الطيبة اللطيفة والذكية لكن الطبيعة لم تكن  
سخية معها مثلما كانت مع أمها وخالاتها الحسان وحتى أختها الرضيعة المتوفية والتي  
لم ترث عنها سوى اسمها "نجد" لذلك تختار لنفسها اسم "زليخا" الذي يحقق ذاتها  
وكينونتها؛ تفاصيل جسدها المرعب والغريب يتماثل مع صورة الغولة أو الوحش، في  
قمة البشاعة، تعاني سوء الطالع مما جعل خالتها التي تحبها وتشفق عليها وأحيانا  
تتطير منها تتعجب من كل "هذا الرصيد المريع من البشاعة التي اجتمعت في جسدها  
ووجهها ،وكان الله قد جمع ما أسقطه أثناء تفصيله لأجساد خالاتها الحسان ليضعه  
فيها " (ربيعة جلطي،2013،ص:66) .

"زليخا"/الزوبير/الضاوية كينونة ملتحفة بالتشوه والقبح أبانت عن قدرة على حمل خيبات وانحرافات مجتمع يتخبط في عهر أخلاقي وسياسي تجلى في انقلاب في المواقف و الانتماء ( زمن الإرهاب ،ربيع عربي ، حروب ،هجرة قسرية ،وحوش بشرية، صراعات ،استغلال ،قهر وتخلف ، نفاق وكذب وفساد على كل الأصعدة سياسية ،اجتماعية ،أخلاقية..)وتحول في المفاهيم وفق ما تؤكد حقيقته المصالح وأهمية المواقف وزيف المبادئ .

إن التصوير الغروتسكي للشخصيات يضيف عليها جمالية جديدة تتعدى حدود الواقع و تخالف المؤلف، ومن تم يحقق القبح وظيفته الاغتراب، حين ينشأ مألوفاً موثقاً يتحول فجأة إلى غريب مزعج على اعتبار سمته الأساسية هي تجاوز الأضداد والمتناقضات (ميجان الرويلي، سعد البازعي، 2002، ص:205)، و تكمن قدرة وبراعة المبدعة في منح المشوه مسحة جمالية من شأنها نسج صورة فنية مغايرة للمعهود في الخطاب الروائي النسوي نتيجة الانحراف عن الواقعي والمتخيل؛ فخلقت من الجسد المشوه نمطاً وسلاحاً تتجاوز به أنواع الجمود والكبت التي تهدد الكتابة الإبداعية والحياة الاجتماعية.

تقوم الكاتبة بإضفاء قيمة فنية جمالية على الشخصيات الغريبة رغم قبحها ليسهل إغراء القارئ من خلال تعاطفه معهم وتتبع مصيرهم. ولعلنا لا نبالغ إذا شعرنا كقراء بإمكانية تحققها الفعلي؛ فتصبح لدينا قدرة خيالية لتصور هذه الشخصيات والإعجاب بأفعالها وأسلوبها لما تحققه من فريدة وتميز، وكأن لها وجود في الواقع لا متخيلة.

### الغروتسك /التطهير :

وفق القراءات النفسية يرتبط الألم بالمتعة واللذة، وتتحول الرغبة في تعذيب الذات بتقبل القبح والتلذذ به، وهو ما خلق شعورا غريبا لدى أبطال "ربيعة" يجمع بين القبح /الألم و الجمال /اللذة من خلال الحوارات المنولوجية الساخرة، تقول زليخا "إن حظي في الجمال مثل حظ زرافة بأقدام جمل ورأس ضفدع وأنف فيل.. باختصار لم تهني الطبيعة من بمائها شيئا ،كلما شاهدت وجهي في المرآة أشيح عنه ثم أرجع إليه من الغريب أنني لا أعادي المرآة بل أعود إليها مرات ومرات في اليوم.. " ( ربيعة جلطي 2013، ص: 40)، ليصبح القبح مولد للذة والألم وسيلة انتصار على صورتها في المرآة التي تغيضاها وتنقل لها قبحها فتشهره في وجهها بكل أمانة كعلامة تحد تعلنها على ذاتها وعلى خالتها وعلى "بوعلام" وتعليقاته الساخرة والمستفزة تقول "زليخا "أخرجت من جيبي الحجر الصغير ...كنت قد دسسته في جيبي مثل مدية أو سلاح خطير نظرت إليه مليا بللته ... وضعته تحت ذقني ثم بدأت أحك به الشعيرات بقوة اشد حتى لم اعد أشعر بجلدي ولم اعد أشعر بأي ألم ،بل بلذة من يفتأ دملا مقيحا ،أو من يقلع ضرسا تورم عرقه أو كمن يصرخ في فراغ بين جبلين بأعلى صوته حتى يكاد يسلم رثنيه للريح.

-آه ياله من ألم يا لها من راحة ..

نفطنت أن الدم ينزف تسيل خيوطه الرقيقة على عنقي ..كانت فرحتي مبهمة ،مشوية بشعور لا كنه له ولا اسم له وأنا أفقد الشعيرات ثم وأنا أنظر إليها بإحساس المنتصرة .المنتصرة على ماذا؟...

هل أنا أبكي...أي بكاء؟ حسنا إنها دموع الظافرين الغالبين الذين يقفون على عتبات التكريم تحت التصفيق لتسلم الجوائز وترفع لهم الأعلام، فيذرفون دمعا غزيرا

تحت الأضواء.. " ( نفسه،ص: 45-46) فالسمة البارزة هنا هي أن شخصية "زليخا والبقية هي شخصيات غروتسكية مازوشية بامتياز أفرطت في تعذيب الذات والتمتع بالألم والتشوه.

و هي بذلك طريقة أرادتها المبدعة كعلاج لتطهير نفوس شخصياتها تحاور بها التشوه الممنوح ليكون لها دواء شافيا من الرجس والضعينة والآثام، فتولد أسمى معاني النبيل و الطيبة والحب والحنان من أعماق هذه النماذج الإنسانية رغم غرابتها وتشوهاها الشكلية.

وحالة الترحيب والتعاطف التي يخلقها النص، هي أيضا عدوى تطهير يصاب بها القارئ جراء شعوره بالقلق تجاه ما تعانیه "زليخا" والبقية أثناء نضالها لتقبل تشوهاها و لإثبات جمال قبحها، هي ردة فعل تحدث امتزاج غريب بين الألم واللذة على كل مستويات الوعي مشكلا متعة القبح الجمالي ؛ وظيفة ثنائية تتناسق الأضداد في حضرتها تخلق استجابة ايجابية وأخرى سلبية، فبقدر ما هو(القبح) مثير للتوتر بقدر ما هو مطهر من عالم الرعب والألم ؛ فلطالما تأكد استمتاعنا بالألم رغم بشاعته في أعمال مثل "البؤساء" و "أحدب نوتردام" أو "أوديب" رغم ما يعانیه أبطالها من ألم و عطب.

هي إذا فلسفة الثنائيات عند "حنة نوحه" في مفهوم الجمال والمتعة الروحية التي يخلقها "هو الترف الذي لا ترف يوازيه أو يهزمه ..وتعود وتنبه أن "الجمال وحده لا يكتفي بذاته مثل بحر عميق لا قرار له ولا نهاية " (ربيعة جلطي،2015،ص: 15) إنه مثل هيكل مقدس.. الجمال نعمة ونقمة الجمال ألم ولذة..منحة ومحنة..الجسد خيل العقل...،، لتستجد حنة نوحه بكيونة الجمال الروحية وما تحمله في طياتها من حب وحرية ؛ فهي الحل عندما تشب نيران الحروب والأحقاد الدينية والعقائدية

والكراهيات العرفية، لا غنى سوى غنى الجمال هو المرآة الوحيدة السالمة من خراب الحروب "تصعد أجنحتي أكثر فأكثر أجد لذة في ترويضها ودفعتها كي تتجاوز طاقتها أرى الأرض صغيرة مكورة يلفها ثلاثة أرباعها الماء والربع الباقي تلفه النيران. الأرض عطشى للحياة بينما الموت والقتل يحوم في كل مكان عطش لا يرويه إلا الطوفان الجديد آن الأوان أن تحطي يا حمامة، يا الضاوية المربوحة يا علامة الطوفان .. " ( نفسه،ص: 170)

وظفت الكاتبة القبح توظيفا جماليا حيث عبرت بكل براعة تصويرية عن الحقيقة الإنسانية السمحة رغم بشاعة المظهر الشكلي للأبطال؛ فكانوا بمثابة رمز للجمال الروحي وجوهر للحياة البسيطة الواقعية، فتبرز نبل مشاعر الصداقة والإخلاص في علاقة "الزوبير" بـ"عباس" و قوة الحب والتحدي والشجاعة عند "زليخا" و الحس المرهف وفعل الخلق و التحرر عند "الضاوية" -في حين - كثيرا ما يخفى الجميل القدر الكبير من القبح والفضاعة؛ فتبين عن نظرة فلسفية و نقدية عميقة تغوص في المعايير المزيفة لثنائية الجمال والقبح؛ لأن القبح الشكلي يكشف دواخل الشخصيات المحيطة به ويعري مكبوتاتهم ويزيح الأقنعة التي يلتحف بها الراهن ويتزين بها الواقع المزيف.

#### الغروتسك،التحول/الجمال :

تتفجر كل معاني الجمال والسحر الأنثوي اثر فعل تحول الذات و تنامي الحدث الروائي؛ إذ يتغير المسار السردي للبطلة زليخا حين يكون قدرها عشق جارها "عبدقا" "جراء هذا الحب العاصف تتحول زليخا في لمح البصر الى فتاة مغربية جميلة، وتصبح بين ذراعيه ملكة على عرش الجمال، ويتجاوز "عبدقا" عطب النطق " التأتأة " قرب هيكل الزجاج المعشق على حافة سريره يلتقط عبدقا يد زليخة، ترتجف قليلا

تنظر في عمق عينيه فترى صورتها تنتبه إنها الوحيدة الجميلة الشهية، فتستسلم مثل حقل يفيض بالقطن وقد يبس في حزن شوكة،.. نسيت قبح ملامحي وبشاعة جسدي .. إني أتماثل للشفاء الشفاء من الإحساس بالقبح .. هو لا يراني بعين القبح وأنا أراه وسيما خالبا وأحس به جميلا وجهها وجسدا وعقلا وروحا .. (ربيعة جلطي، 2013، 175) وهي تحولات سحرية تذكر القارئ بما يحدث على مستوى السرد العجائبي، وكيف يزول مفعول السحر بقبلة.

وهو أمر يتكرر في حالة الاكتمال و التحرر بالحب مع "الضاوية" و "ابراهيم" في رواية "حنين بالنعناع" تقول "كانت الطائرة تنهاوى في الجو، بينما يدي الصغيرة الضئيلة في يد إبراهيم أشعر من قبضته وهو يضم يدي أنني أسكنه لا شيء قادر على أن ينال مني، ألتفت نحو وجهه إنه أوسم من ذي قبل ..العشق مصدر الوسامة والكراهية تورث العاهات.." (ربيعة جلطي 2015، ص: 262) ، يخترق الجسد حدوده ويتجاوز طاقاته به يثبت الحضور ، وهو علة الوجود وعلامته وهو المؤثر في الكينونات المحيطة به، بغض الطرف عن قبحه أو جماله ؛ فالأمر سيان إذا تحققت قوة الحضور ومكمن الوجود .

وكذلك يتغلب "الزبير لكروفيت" على مركبات النقص والتشوه أثناء علاقته الحميمة مع "سكينة الروخة" ..تصرخ بجنون فوق جسدي من اللذة وهي تعدد أوصافي الذكورية الخارقة وتقسم برأس أمها أن ذكورة ذكور وهران كلها بل العالم أجمعه مركزة في هذا الشيء المحتقن الذي أمتلكه وحدي" (ربيعة جلطي، 2016، ص: 101-102)

لا يشعر الزبير بالاكتمال من خلال "الكروفيت" فقط التي يعتبرها نقطة قوته ودليل الفحولة و بما يحفظ شرف أسلافه ، إنما من خلال أيضا نبل المشاعر والصدقة القوية التي تجمعها بصديقه الحميم "عباس" ، لتتضاعف قوة الاكتمال لديه بفعل الحب الذي أصبح يكنه لعشيقته يتغلب به على قبحه "أنا الزوير المشوه أصبحت محبوبا، منتظرا، لحظات سعيدة يشعر بها جسدي البائس، فيتجدد، يفتح، ينتعش.. كم جميل أن

يكون أحد غريب عنك في انتظارك وكأنك لست غريبا عنه، بل جزء منك أو جزء منه.. " ( نفسه، ص : 93-94)

فتطرح جل المحطات السردية التي تتوقف عندها شخصيات "ربيعة جلطي" فكرة التماثل بين القبيح المشوه الخارجي وبين الجميل الروحي الداخلي ؛ "فالقبح لا وجود له إن لم يجد من يحس به وينعكس على صفحة نفسه" (ربيعة جلطي، 2013، ص:175) وهي دعوة صريحة لإعادة النظر في المسلمات و المفاهيم الثابتة الموروثة في القبح والجمال وعلاقتها بمفهوم الحب والعشق؛ أين يتحول المسخ بفعل الحب إلى نموذج جمالي يقترن من المثالية (optimality)

كما أن علاقة الشخصيات وتفاعلها وتطور مسارها من قبح إلى جمال ما هي إلا صور رمزية تؤكد على قبح الواقع وبشاعته وتبشر بولادة آخر جميل وجديد، من منطلق أن الغروتسك ذو "وظيفة تصحيحية يجعلنا نرى العالم الحقيقي من منظور جديد يهدف إلى تصوير العالم في غرابته وغربته" (ميجان الرويلي، سعد البازعي، 2002ص:203) وهو طرح نتاج وعي الكاتبة بضرورة التغيير والتحرر لمواجهة الجمود وتجاوز المسلمات والنواميس الموروثة .

تغوص الكاتبة بشكل ملفت في هذه الأعمال الروائية في كشف المسكوت عنه في منظومة التعليقات والأعراف الاجتماعية وكيف تتغير نواميس الجمال والقبح نتيجة تكلس الذهنيات وسلطة الأنساق المضرة؛ فتتساءل بطلة رواية "حنين بالنعناع" "لماذا عندنا ينجذب العشاق بينما يخرج القتلة شاهرين الكراهية .لماذا ينعت الحب بالعيب و الحرام وتنعت الضعينة بالملائكية والجنة والقدسية والقتل بالطهرانية؟ (ربيعة جلطي، 2015، ص : 167).

كما تستخدم إستراتيجية الغروتسك أيضا لتجمع بين المقدس والمدنس في مشاهد برونوغرافية مثيرة حين تصور الممارسات الشبقية السرية للزوير وجارته "نبية" التي دأب التجسس عليها يوم الجمعة ..تزداد نبية توهجا، كأنها في طقس شيطاني، بينما تزداد

أصوات الخطباء المتقاطعة في سماء وهران وهم يهددون عباد الله بالعذاب الأليم.. كنت أصرخ من لذة قصوى ..، ولا بد أن الخطيب الذي يصرخ الآن .. يدرك انه ليس بملاك ولا بد أن "نبية" كانت تصرخ في الجهة الأخرى من السماء.. "ربيعة جلطي 2016، ص:58-59)، فكانت أهم وسائل التفرغ الجنسي بالنسبة لزوير أما بالنسبة ل"نبية" فكانت بمثابة ثورة شبقية تعلن بها المرأة تحررها الذاتي الجنسي تجاه الآخر، والتي لا تزال من الطابوهات التي لا تطرق إلا نادرا، فلطالما اعتبر إمتاع الذات بالفعل الجنسي موضوع إشكالي، مخجل، خطيئة وعادة منفرة ومرعبة بحكم النظرة الدينية والاجتماعية والعرفية. والتي ولدت نظرة سلبية أيضا لمثل هذا التوظيف الايروتيني في الأعمال الفنية والأدبية.

ولعل هدف الكاتبة حين وظفت مثل هذه المشاهد الغروتسكية الجريئة هو تعرية وإمالة اللثام عن مجتمع غارق في عالم اللذة الذاتية رجالا ونساء وبمختلف الميولات الجنسية نتيجة الكبت والحرمان العاطفي ومفارقات الواقع وتناقضاته وما تحفيه أنساقه بين طياته .

#### النتائج:

- 1- أثارت النصوص الثلاثة "عرش معشوق"، "حنين بالنعناع" "عازب حي المرجان" فكرة فلسفية تبين عن موقف الكاتبة من الجمال ومعاييره من خلال إستراتيجية الغروتسك حين يتحول إلى قيمة جمالية في النص الإبداعي النسوي . كما تكمن روعتها من خلال طرحها لقيم إنسانية تميظ اللثام عن مواقف إنسانية وعن الراهن القاسي وتناقضاته وتأثير أنساقه .
- 2- في هذه الروايات نظرة انتقادية للراهن الجزائري والمجتمع الإنساني وضرورة تجاوز مفاهيمه ومعتقداته المتحجرة؛ فقبح "الزوير" وبشاعة "زليخا" وغرابة "الضاوية" المجنحة يكشف دواخل الشخصيات الأخرى ومكبوتاتهم، يزيح الأقنعة التي يلتحف بها الراهن الجزائري ويبرز زيفه؛ ففي حضن القبح تنشأ القيم الجمالية و



- الأخلاقية بكل قوتها كما قد يخفي الجمال تحت أستاره قيم الشر و مختلف المشاعر من كره وبغض ومواقف سلبية.
- 3- مثلت هذه الشخصيات الرمزية جوهر الحياة الإنسانية لما تزخر به من الجمال الروحي، والبساطة والقوة رغم التشوه الجسدي الذي تحمله والتشوه الأخلاقي والاجتماعي الذي تعيش في كنفه. وعلى هذا الأساس يصبح تتبع مثل هذه النماذج الغروتسكية المختلفة في سلوكها وطرق تعاطيها مع الحياة هو في الحقيقة تتبع لمستور مجتمع بأسره
- 4- تتعالق إستراتيجية الغروتسك و إشكالية الإقصاء والقهر الممارس على الجسد المشوه وهو ما يخلق تشوهات نفسية ومعنوية على مستوى الحياة الداخلية لهذه الشخصيات نتيجة صور الازدراء والسخرية المسلط عليها .
- 5- من تجليات الغروتسك أيضا الطابع الساخر في معالجة الراهن الاجتماعي والسياسي والمبالغة في تصوير المواقف السلبية كالكذب والخداع الكبت الجنسي ومشاعر التهكم الازدراء .
- 6- تتجاوز الكاتبة " ربيعة جلطي" معاناة البشاعة لدى أبطالها؛ ليجسد النص القيم الوجودية من خلال إسقاط الأقنعة وكشف التجلي القيمي والجمالي التي يحظى بها الغروتسك والبوح بالنوايا الخفية خلف مظاهر الجمال المحتملة .
- 7- حاولت الكاتبة أن تخلق آفاقا جديدة للكتابة النسوية من خلال مغامرة التعبير الجمالي والفني عن القبيح والغريب، فقدمت نماذج مذهلة وفريدة .
- و يمكن القول وبدون مبالغة أن الكاتبة قد نجحت في إقامة نظريتها الإبداعية على أساس فلسفتها في القبح والجمال في هذه التجارب الروائية والتمرد على الأشكال النمطية التي صيغت في الرواية النسوية والسرد الروائي بشكل عام

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- DLDLP DICTIONARY ;Dictionary of theatre Ar/En/Fr  
مكتبة لبنان ناشرون متوفر على [WWW.LDLP.COM](http://WWW.LDLP.COM)
- 2- LA ROUSSE, Encyclopédique, Dictionnaire en 2volumes,  
LAROUSSE, PARIS, 2003,
- 3- إبراهيم العريس "تاريخ القبح لاميريتو ايكو" ، مجلة الحياة ، 2017/7/4 متوفر على  
[www.alhayat.com](http://www.alhayat.com)
- 4- أميرة حلمي مطر: فلسفة الجمال اعلامها ومذاهبها ، دار الأنباء ، القاهرة، 1998
- 5- جورج سانتيانا : الإحساس بالجمال، ت: مُجد مصطفى بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،  
2001
- 6- ربيعة جلطي: عرش معشوق، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، ط1، لبنان، الجزائر، 2013  
a. حنين بالنعناع ، منشورات الاختلاف، ضفاف ط1، الجزائر، لبنان، 2015  
b. عازب حي المرجان، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، ط1، لبنان، الجزائر، 2016
- 7 - صلاح فضل: تحليل شعرية السرد، دار الكتاب اللبناني ، ط1، بيروت، 2002
- 8- صورية غجاتي : (استراتيجية الغروتسك في رواية تفنست لعبد الله حمادي) حولية مخبر الترجمة واللسانيات،  
منشورات المخبر ، ع/4، قسنطينة، 2009
- 9- فايدوس لأفلطون أو عن الجمال، تر: أميرة حلمي مطر ، دار غريب، القاهرة ، 2000
- 10- فيكتور هيجو: مقدمة كرومويل (بيان الرومانتيكية) ت علي نجيب إبراهيم، دار الينايع، ط1، دمشق،  
1994
- 11- مجدي وهبة: معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان.
- 12- ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، المغرب، لبنان، 2002
- 13- ميشال عاصي: الفن والأدب، مؤسسة نوفل، ط3، بيروت، 1980